من التراث الشعبى

جحا عالم نفسانى

سيكولوجية ابداع الشعر الحداثى

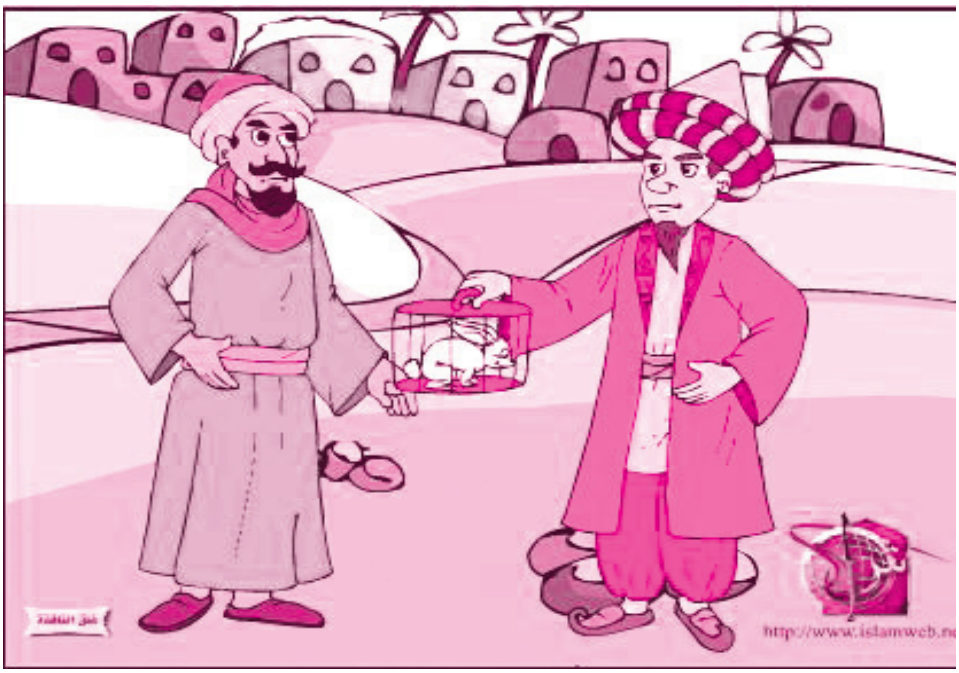

حاول بعض علماء النفس تعليم القردة القراءة والكتابة ويقولون إنهم نجحوا فى ذلك ولكننى لا أدرى ولا المنجم يدرى إن كانت تلك حقيقة أم ادعاءات زائفة. وقد حاولت كطبيب نفسى وكجزء من دراساتى العليا أن أعلم القرد القراءة والكتابة لكننى لم أنجح ولكن القرد نجح فى أن يعلمنى القراءة والكتابة بلغة القرود سبقنى جحا وسبق علماء النفس بمئات السنين وإن كانت تجربته الأكثر صعوبة فعلماء النفس يعلمون القردة وهى مخلوقات ذكية لكن جحا علم الحمار وهو أغبى الكائنات فلقد تحدى جحا القاضى أنه سيتمكن من تعليم الحمار خلال عشر سنوات ولما تعجب الناس وسألوا جحا كيف سيفعل ذلك وهو مستحيل قال لهم خلال العشر سنوات سيكون جحا قد مات أو القاضى مات أو مات الحمار لكن جحا نجح فعلا فى تعليم الحمار فى عشرة أيام فلقد وضع له حبات الشعير بين صفحات الكتاب وأخذ الحمار فى تقليب صفحات الكتاب بلسانه بحثا عن الشعير ويفعل ذلك كلما وجد أمامه كتابا فلقد حدث عنده ارتباط شرطى بين الكتب والشعير ومن المعلوم أن هناك ارتباطا بين الشعر والشعير فما أن يجد الحمار كتابا حتى يبحث فيه عن الشعير وهو ينهق شعرا حداثيا جيدا وهكذا كانت بداية الشعر الحداثى.

جحا طبيب نفسى

«الطب النفسى» علم حديث لكن هناك رواد أوائل مارسوا الطب النفسى من قديم الزمان ومن هؤلاء جحا فعندما سأله الحاكم أن يعد له المجانين فقال له أعد لك العقلاء فهم قلة أما المجانين فهو أكثر من أن يحصوا. أثبت جحا أن أهل بلدته كلهم مجانين بطريقة سهلة وسريعة ولا تحتاج إلى أشعة أو رسم مخ فلقد أذاع أنه سيطير من فوق مئذنة المسجد الجامع أصيل الجمعة حتى إذا حان الموعد وتجمع الناس من كل مكان وضاق بجموعهم الميدان أطل عليهم جحا من أعلى المئذنة ونظر إليهم ساخرا من بلاهتهم ويمد ذراعيه ملوحا بهما فى الهواء ويحرك يديه كأنما يتهيأ للطيران وقد خيل للناظرين أنه جاد فى محاولته فلما طال بهم الانتظار التفت إليهم ساخرا وقال كنت أظن أن جحا وحده هو المتفرد بالجنون فإذا كل من أرى أجن منه. خبرونى أيها العقلاء كيف صدقتم أن جحا قادر على الطيران كالطيور وهكذا أثبت جحا الطبيب جنون أهل بلدته جميعهم.

لا أدرى نصف العلم

لا أدرى نصف العلم ولا أدرى نصف العلم فإذا اجتمعا اجتمع العلم. هدد مجنون جحا أنه سيقتله إن لم يجب على أربعين سؤالا للمجنون بإجابة واحدة انتظر جحا حتى فرغ المجنون من الأربعين سؤالا وأجاب عليها جحا إجابه واحدة كما طلب المجنون وكانت الإجابة لا أدرى أليست هى نصف العلم.

من حكايات الآباء فى علم النفس

العقل الباطن يتكلم

سأل رجل فقيها. رأيت قوما يأكلون فهل أسلم عليهم ؟ فقال الفقيه: إذا أردت أن تأكل معهم فسلم عليهم وقد صدق فلو مر إنسان بقوم يأكلون لما انتبهوا إليه فكل جوارحهم مع الطعام وحواسهم كلها مشغولة به فإذا أراد أن ينبههم إلى وجوده لكى يدعونه للطعام فإنه يلقى عليهم السلام . مر رجل بقوم يأكلون عسلا فأراد أن يأكل معهم فألقى عليهم السلام لكى يدعونه للطعام لكنه عوضا عن أن يقول السلام عليكم فإنه قال «عسليكم» وهكذا فضحه عقله الباطن كان جحا يأكل تفاحا ومر به أحد أصدقائه فألقى عليه السلام وهو يأكل فقال له

بقلم :
د. عبد الغنى عبد الحميد
طبيب نفسانى

جحا «لا» وهى جملة مفيدة كاملة فى هذه الحالة وتعتبر عند أولى النهى رد السلام.

كيدهن عظيم.. من علم نفس المرأة

تستطيع المرأة أن تجعل من اللحم خيارا ومن ابن آدم حمارا ليس بالسحر ولكن بالعلم، أحضر جحا لزوجته لحما لتطهوه وبعد أن نضج أكلته هى وصديقها ووضعت مكانه خيارا فجاء جحا وقال لها هذا خيار قالت بل هو لحم ولكن بصرك قد ضعف، وفى يوم فاجأها جالسة مع صديقها فأمسك به ووضعه فى صندوق وأغلقه ثم ذهب ليستدعى أهلها فأخرجت المرأة صديقها ووضعت مكانه جحشا وأقبل جحا مع أبيها وأمها وفتح الصندوق أمامهما فرأوا جحشا فقالوا «ياجحا أنت مجنون» فخجل جحا ونظر إلى زوجته وقال التى تجعل من اللحم خيارا تجعل من ابن آدم حمارا وهو يقصد بالحمار هنا نفسه وليس صديقها.

سيكولوجية المرأة

أفاض علماء النفس فى شرح أهمية الزواج للصحة النفسية لكن جحا «المعالج النفسى» اكتشف هذا الأمر من زمن بعيد فقد جاءته إحدى جاراته وقالت له «إن ابنتى متمردة ومضطربة فاكتب لها حجابا أو أرقيها وادع لها أن تشفى» فقال جحا إن قراءة رجل عجوز مثلى لن تشفيها ولكن ابحثى لها عن شاب فى العشرين أو الثلاثين وزوجيها منه فمتى تزوجت ورزقت أولادا صارت عاقلة وطائعة.

أين عقلى.. المرأة لا تفقد عقلها أبدا

تزوج جحا كثيرا وطلق كثيرا وماتت له زوجات وعندما ماتت إحدى زوجاته حزن حزنا رهيبا فقد كان يريد أن يطلقها. قيل لجحا أن امرأتك أضاعت عقلها فانطلق يبحث فى الدار ويعاود البحث فقيل له عما تبحث يا جحا فقال «قيل لى إن زوجتى أضاعت شيئا وأنا أبحث عنه وهذا الشئ لن يكون عقلها فإننى لا أعلم لها عقلا تضيعه» وكانت حياة جحا تدور بين زوجته وحماره وعلى قدر محبته لحماره «الذى كان يستشيره فى كل أموره» كانت كراهيته لزوجته التى كان يستشيرها لكى يفعل عكس ما تقول.

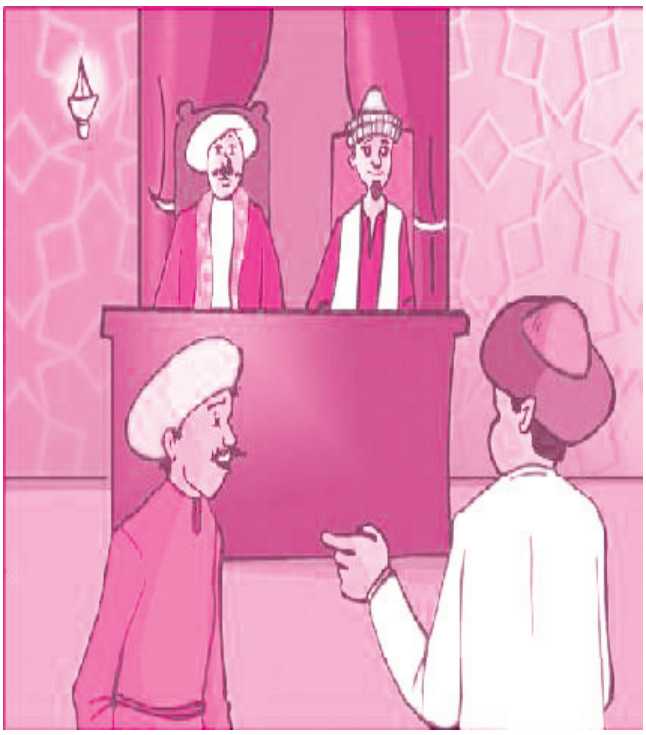

ماذا يريد شباب القرن ٢١؟

لا شك أن الاهتمام بالشباب يعنى الاهتمام بمستقبل الأمة فهم يمثلون طائرات الأمة التى تنقلها من حالة التخلف إلى حالة التقدم بل يمثلون بلغة علم النفس المرحلة الانتقالية للإنسان «مرحلة ما بعد البلوغ» والتى تنقله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة وتحمل المسئولية يعاصرون مرحلة البلوغ والمراهقة والرشد بأنواعها لذا يجب التعرف على شخصية هؤلاء الشباب واتجاهاتهم واهتماماتهم نحو بعض القضايا المعاصرة ومدى تأثرهم بالتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية والاقتصادية المعاصرة كما أنهم يواجهون تحديات وصعوبات الحياة المعاصرة بجانب شعورهم بالضعف تجاه بعض القضايا المعاصرة. ويعانون من قضية من سأكون «الهوية الشبابية والتى سماها أريكسون فقدان الاحساس بالثقة أو الهوية» أزمة الهوية.

إذن تنحصر مشكلة شباب القرن ٢١ فى هذا التساؤل التالى من أنا. أو من سأكون بمعنى هل استطاع شباب القرن ٢١ أن يحقق ذاته أو آماله؟ الاجابة إلى حد ما وليست لا. حيث إن هناك فروقا فردية بينهم فالذى استطاع أن يرسم ذاته المثالية، مستوى طموحه منذ الطفولة تحت إشراف الأسرة أو الوالدين والمدرسة ثم الجامعة فإنه قد حقق بعض آماله أو جزءا من ذاته والذى لم يستطع رسم ذاته المثالية منذ الصغر فشل فى ذلك وأصبح يعانى من أزمة الهوية فى مرحلة الشباب والتى تتمثل فى فقدان الثقة بالنفس والغير والآخرين فى المجتمع. ولكن مع ذلك ماذا يريد الشباب فى القرن ٢١ لكى يحققوا ذواتهم: يريدون الآتى:

المسكن. الوظيفة. الزواج. رصيد فى البنك أو مشروع يضمن له البقاء فى هذا القرن لتكوين أسرة صالحة نافعة فى المجتمع وإذا يحقق ذلك فهو يريد إشباع حاجات نفسية أخرى تمثل لهم رفاهية مثل السلطة الشبابية. الهوية الشبابية. القدوة الشبابية حتى يتحقق لهم جودة الحياة ورفاهيتها.

ولن يتحقق ذلك إلا بالتقبل الشبابى من الآخرين والواقعية الشبابية. النضج الانفعالى. اعتدالية الميزان النفسى أو السلم الوجدانى. مدى ما يوجد من رصيد نفسى عاطفى فى البنك النفسى وقدرة عقلية خاصة ككنز يستطيعون أن يحققوا به ذواتهم فى الحياة المستقبلية كما يتطلب تكاتف جميع مؤسسات المجتمع فى حل مشاكلهم.

وهذا يؤدى إلى علاج مشكلة البطالة لديهم وحسن الاختيار للأصدقاء والبعد عن قرناء السوء وصدق الشاعر حين قال

واختر قرينك واصطفيه تفاخرا
إن القرين إلى المقارن ينسب
وارع الأمانة والخيانة فاجتنب
وإعدل ولا تظلم يطب لك مكسبا
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا
إن الكذوب يشين مرا يصحب

إذن يجب على مؤسسات المجتمع أن تشبع الحاجات الضرورية ثم النفسية لهؤلاء الشباب سواء حاجات الحب والأمن وتأكيد الذات حتى يستطيعوا أن يحققوا ذواتهم خشية أن يحدث استقلالية فى الإشباع لبعض الحاجات فيشبعوا حاجات ليست لها أهمية وهايفة على حساب حاجات لها أهمية فيتحولون إلى مجرمين فى المجتمع.

بقلم:

د. إبراهيم محمد المغازى
قسم علم النفس
جامعة قناة السويس